

## سقوط البشير كان محتوما بعد تخلي الإمارات عنه

2019-07-09 وكالات

رويترز) - مساء العاشر من إبريل نيسان زار صلاح قوش رئيس جهاز الأمن والمخابرات السوداني الرئيس عمر حسن البشير في قصره لطمأنته أن الاحتجاجات الشعبية لا تشكل خطرا على حكمه، فعلى مدى أربعة أشهر ظل آلاف السودانيين يخرجون للشوارع في مظاهرات مطالبين بالديمقراطية وإنهاء الأزمة الاقتصادية.

وقالت أربعة مصادر، حضر أحدها ذلك اللقاء، إن قوش أبلغ الرئيس، الذي كان من أقدم الحكام في العالم العربي، أن اعتصام المحتجين خارج مقر وزارة الدفاع القريب من القصر سيتم احتواؤه أو سحقه، ودخل البشير فراشه لينام مرتاح البال. وعندما استيقظ بعد أربع ساعات أدرك أن قوش خانة. كان حراس القصر قد اختفوا وحل محلهم جنود من الجيش النظامي. وانتهى حكمه الذي استمر 30 عاما.

وقال أحد أفراد الدائرة المقربة من البشير كان من عدد يعد على أصابع اليد الواحدة ممن تحدثوا مع البشير في تلك الساعات الأخيرة إن الرئيس ذهب لأداء الصلاة. وقال هذا المصدر لرويترز "كان ضباط الجيش في انتظاره عندما أتم صلاته".

أبلغ الضباط البشير أن اللجنة الأمنية العليا المؤلفة من وزير الدفاع وقادة الجيش والمخابرات والشرطة قررت عزله بعد أن خلصت إلى أنه فقد السيطرة على البلاد، وتم نقل البشير إلى سجن كوبر بالخرطوم الذي سبق أن زج فيه بالآلاف من خصومه السياسيين خلال فترة حكمه ولا يزال فيه حتى الآن.

بسلاسة لافتة للنظر تحقق الانقلاب على رجل تغلب على حركات تمرد ومحاولات انقلاب وبقى رئيسا رغم العقوبات الأمريكية وتفادي القبض عليه بأمر من المحكمة الجنائية الدولية بتهمة ارتكاب إبادة جماعية وجرائم حرب في إقليم دارفور.

وقد أآرت رومآرز مقآبلآ مع أكآر من عآرة مصآر مطلعة إطلاعآ مآشرآ على الأحداث آآي أآت إلى الانقآب لرسم صورة لكيفية فقآن البشير قبضآه على السلطة في نهاية الأمر، ورسمآ تلك المصآر، آآي كان من بينها وزير سآبق وعضو في آلائرة المقربة من البشير وآآد مآبري الانقآب، صورة لزعميم برع في التلاعب بفآآ متنافسة من الإسلاميين والعسكريين في السودان لكن عزلآه كانت آآزآد في الشرق الأوسط سريع التآير، وكشفت المصآر كيف أسآء البشير إآارة العلاقة المهمة مع دولة الإمارات العربية المتحدة. فقد سبق أن ضآآ الإمارات مليآرآ آلولآرآ في آآزآن السودان.

كان البشير قد آآم مصآلح الإمارات في اليمن آآآ آآوض الإمارات والسعودفة حربآ بالوكالة على إيران. إلا أنه في نهاية 2018 ومع تفآقم الوضع الآقآصآدي في السودان آآرآ المحتآون إلى الشوارع وآآآشف البشير أن هآآ الصآيق القوي والثري ليس بآانبه.

وروت المصآر كيف أن قوش رؤفس آهاز الأمن والمآآبرآ آآصل بمسآونين سياسيين وجمآعات معآرضة سعيآ للآصول على آأييآها في الأسآبع آآي سبقت عزل البشير، وآآلت المصآر إن قوش آآرآ في الآفآم آآي سبقت الانقآب مكالمة وآآدة على الأقل مع مسؤولين في المآآبرآ الإماراتفة لإآآرهم مسبقآ بالآآآ المرتقب.

ولم آرد الآكومآآن في الإمارات والسعودفة على أسآلة تفصيفية من رومآرز عن مضمون هآآ الآقآير، وكتب أنور قرقآش وزير الدولة للشؤون الآرآرآة في الإمارات آآرآفة على آوآر في آونفو آآيران بعآ عزل البشير قال فيها إن بلادهم على آآصال بكل أطراف المعآرضة السودانية وبالمآلس العسكري الآآآقآلي، وفي إشارة إلى آلفآء البشير من الآيار الإسلامف في السودان آضاف قرقآش أنه مآ من شك أن هآآ فترة آسآسة بعآ سنوات من آفكآآورة البشير والآآوان المسلمفن.

## آآانة

كانآ العلقآ لا آزال آآفة بين البشير والإمارآ في فبرآفر شبآط 2017 عنآما زآر البشير ولف عهد الإمارات الشفآ محمد بن زآفد في أبوظبف. وكان آوالف 14 ألف آنآف سودآني فآآآلون مآآرآفن

متحالف، ين مع إيران في اليمن تحت راية تحالف عسكري بقيادة السعودية والإمارات.

وقال مصدر رفيع في الحكومة السودانية أطلعه البشير على ما دار في اللقاء بينهما إن ولي العهد كان يأمل تعاون البشير الآن في موضوع آخر يتمثل في التضييق على الإسلاميين وكانت الإمارات تقود مساعي إقليمية للتصدي للإسلام السياسي الذي تعتبره هي والسعودية تهديدا مباشرا للحكم الملكي وللمنطقة.

واكتسبت تلك المساعي أهمية أكبر اعتبارا من العام 2011 عندما اجتاحت انتفاضات الربيع العربي الشرق الأوسط. فقد كانت جماعة الإخوان المسلمين تزداد قوة. وتعتبر الإمارات والسعودية الإخوان المسلمين تنظيما إرهابيا. وتقول الجماعة إنها سلمية، وفي العام 2012 انتخب المصريون مرشح الإخوان المسلمين محمد مرسي ليصبح أول رئيس إسلامي للبلاد. وبعد عام واحد أطاح به الجيش في خطوة حازت رضا الإمارات والسعودية التي اشتركت مع الكويت في تقديم مساعدات قيمتها 23 مليار دولار للقاهرة على مدار الثمانية عشر شهرا التالية، وفي السودان كان نفوذ التيار الإسلامي أكثر رسوخا منه في مصر ويمتد لعشرات السنين. فقد استولى البشير على السلطة في 1989 وأصبح رئيسا لمجلس عسكري من الإسلاميين. وأصبح الإسلاميون يسيطرون على المؤسسة العسكرية وأجهزة المخابرات والوزارات الرئيسية، ويقول المسؤول الحكومي الكبير إن البشير والشيخ محمد بن زايد توصلا إلى "تفاهم" يقضي بأن يتخلص البشير من الإسلاميين مقابل دعم مالي تقدمه الإمارات. ولم يذكر البشير كيف ينوي تحقيق ذلك.

وفي تصريحات أذيعت تلفزيونيا خلال اللقاء وجه الشيخ محمد بن زايد الشكر للزعيم السوداني على إرسال قواته لدعم الإمارات والسعودية في اليمن، وقال وهو يجلس بجوار البشير إنه يريد أن يقول كلمة حق عن الرئيس السوداني وهي أنه عندما ساءت الأمور دعم السودان التحالف العربي دون أن يطلب شيئا في المقابل. وصفق المسؤولون الحاضرون وهللوا لذلك.

تدفقت مليارات الدولارات من الإمارات على السودان بعد محادثات أبطوبي. وذكرت وكالة أنباء الإمارات أن الإمارات حولت للسودان في السنة المنتهية في مارس آذار 2018 ما قيمته 7.6 مليار دولار في صورة دعم للبنك المركزي السوداني واستثمارات خاصة واستثمارات عبر صندوق

أبوظبي للتنمية.

وتم تكليف واحد من أوثق مساعدي البشير وهو مدير مكتبه طه عثمان الحسين بتولي أمر علاقات السودان مع الإمارات والسعودية. ويقول زملاء للحسين ضابط المخابرات السابق إنه طموح ومحنك. غير أن نفوذه أثار استياء وزراء في الحكومة اشتكوا من عجزهم عن الاتصال بالبشير إلا عبر الحسين وأنه يتحكم فعليا في السياسة الخارجية.

وفي إحدى المناسبات أصدر إعلانا مهما يتعلق بالسياسة الخارجية لوكالة الأنباء السودانية ووكالة الأنباء السعودية بالالتفاف على وزارة الخارجية، وقالت قمر هباني أمينة شؤون المرأة بحزب المؤتمر الوطني السوداني الذي كان البشير يتزعمه "كان هو الرجل صاحب القبضة السحرية على عقل البشير".

واتهم الخصوم بمن فيهم رئيس المخابرات حينذاك وساسة كبار الحسين علنا بالتجسس لحساب السعودية. وقالت المخابرات السودانية إن السعودية والإمارات أودعتا 109 ملايين دولار في حساب مصرفي للحسين في دبي.

وقالت عدة مصادر لرويترز إن الحسين نفى تلك الاتهامات التي ذكرتها وسائل الإعلام السودانية في ذلك الوقت في لقاءات مع البشير، وقال المسؤول الحكومي السابق إن البشير عزل في النهاية الحسين في يونيو حزيران 2017 عندما اتضح أنه حصل على الجنسية السعودية. وانتقل الحسين إلى الرياض وأصبح مستشارا للسعودية والإمارات ولا يزال يشغل هذا المنصب ويتنقل بين البلدين، ولم تستطع رويترز الاتصال بالحسين للحصول على تعليق منه. ولم ترد الحكومتان الإماراتية والسعودية على استفسارات عن هذا الأمر، وقالت هباني "موضوع طه (الحسين) ترك ندبة كبيرة على البشير".

إسلاميون

في صيف 2017 تفجرت أزمة دبلوماسية بين دول الخليج. فقد قطعت الإمارات والسعودية العلاقات مع قطر لاستيائها من دعمها المتواصل لجماعة الإخوان المسلمين. ووضع هذا الخلاف البشير في

وضع صعب. فقد سبق أن قدمت قطر مثل الإمارات دعماً مالياً بمليارات الدولارات للاقتصاد السوداني.

ووضع حلفاء البشير الإسلاميون في السودان عليه للحفاظ على العلاقات مع قطر وعدم الانحياز لطرف من طرفي النزاع. وقال المسؤول الحكومي السابق إن رسالتهم كانت في غاية الوضوح خلاصتها "يجب أن نحافظ على العلاقات مع قطر".

وفي مارس آذار 2018 أعلن السودان وقطر خطاً لإبرام اتفاق لتطوير ميناء سواكن السوداني على البحر الأحمر باستثمارات قدرها أربعة مليارات دولار، كان البشير قد اختار ألا يلقي بثقله وراء الإمارات والسعودية في النزاع، واختار البشير أيضاً ألا يقلص نفوذ الإسلاميين في حكومته. وقال المسؤول الحكومي الكبير إن البشير كان يخشى استعداد شخصيات إسلامية لها نفوذ كبير.

ومن أصحاب النفوذ هؤلاء علي عثمان طه النائب السابق للرئيس وبكري حسن صالح الذي خلفه في منصب نائب الرئيس والذي شارك في الانقلاب الذي أتى بالبشير. ولم تستطع رويترز الاتصال بـطه أو صالح للتعليق.

وبحلول أكتوبر تشرين الأول 2018 كان السودان ينزلق إلى أزمة اقتصادية إذ قل الخبز والوقود والعملية الصعبة. وفي اجتماع لحزب المؤتمر الوطني سألت هباني الرئيس عن سبب عدم تقديم الإمارات والسعودية يد المساعدة للسودان.

ونقلت عنه قوله رداً على سؤالها "إخواننا يريدونني أن أتخلص منكم يا إسلاميين"، وقال ثلاثة مسؤولين سودانيين إن الإمارات أوقفت في ديسمبر كانون الأول 2018 إمدادات الوقود للسودان لاستيائها من عدم تنفيذ البشير لالتزاماته في الاتفاق الخاص بالتخلص من الإسلاميين، وقالت هباني "الإمارات والسعودية قررتا عدم دعم البشير مالياً لأنه رفض التخلص من الإسلاميين ولم يدع للضغوط لدعم السعودية والإمارات في مواجهة قطر". وأضافت "لم تقبل رفض السودان الانحياز لطرف".

وفي فبراير شباط 2019 بدا وكأن البشير يخطو نحو مصيره المحتوم في اجتماع مع مجلس الشورى السوداني المؤلف من كبار القيادات في البلاد. وكانت الاحتجاجات تنتشر في البلاد على ارتفاع أسعار الخبز. وأعلن البشير انتماءه للحركة الإسلامية وافتخاره بذلك، وقال المسؤول الحكومي الكبير إن هذه كانت نقطة اللاعودة. كان من الواضح أن البشير لن ينقلب على الإسلاميين، ومع اشتداد الحاجة للمال سافر البشير إلى قطر في وقت لاحق من ذلك الشهر لإجراء محادثات مع أميرها الشيخ تميم بن حمد آل ثاني. ويقول عضو الدائرة المقربة من البشير إن الأمير عرض على البشير مليار دولار.

لكن المصدر قال إن البشير عاد للبلاد خاوي الوفاض بعد أن كشف الأمير أنه يتعرض لضغوط من “دوائر معينة” لتغيير رأيه. ولم يحدد الأمير تلك الأطراف، وفي اتصال مع رويترز قال مسؤول بوزارة الخارجية القطرية إن دعم قطر للسودان استهدف رخاء ورفاهية شعبها وإنه لم يكن مرتبطا بحزب أو نظام سياسي معين، وأضاف المسؤول أن قطر لم تتعرض لضغوط من طرف ثالث لوقف مساعداتها للسودان وأن مشروعات التنمية في السودان مستمرة، وخلف الكواليس كانت مؤامرة عزل البشير تتبلور.

فقد روى أحد قيادات المعارضة ممن كان ضمن السجناء السياسيين في سجن كوبر المحبوس فيه البشير الآن في الخرطوم كيف ظهر رئيس المخابرات قوش فجأة في السجن في أوائل شهر يناير كانون الثاني 2019 والتقى بثمانية من شخصيات المعارضة، وأبلغ قوش السجناء أنه جاء من أبوظبي بوعد من الإمارات لتقديم الوقود ومساعدات اقتصادية آخرين وطلب من السجناء تأييد خطة عامة من أجل نظام سياسي جديد في السودان. وأكد مصدر وثيق الصلة بقوش هذا الحوار، وعاد قوش إلى السجن بعد عشرة أيام. وفي تلك المرة زار 26 زنزانة يشغلها سجناء سياسيون، وقال القيادي المعارض الذي أطلق سراحه الآن هو والآخرون “منذ ذلك الوقت تحسنت الأحوال. وحصل السجناء على سجناء مجانية وعلى جهاز تلفزيون وتبغ للمضغ”، وأضاف “وجدنا الأمر في غاية الغرابة أن يزور رئيس المخابرات السجناء السياسيين. لكن عندما وقع الانقلاب أدركت السبب”، ويقول دبلوماسي غربي كبير في الخرطوم وعضو الدائرة المقربة من البشير والمصدر وثيق الصلة بقوش إن الإمارات وقوش اقترحا في منتصف فبراير شباط مخرجا كريما للرئيس. وكانت تلك الخطة تقضي بأن يظل البشير في السلطة لفترة انتقالية تعقبها انتخابات، وأعلن قوش في مؤتمر صحفي

في 22 فبراير شباط أن البشير سيتنحى عن رئاسة حزب المؤتمر الوطني ولن يسعى لإعادة انتخابه في 2020. إلا أن البشير لم يذكر شيئاً في خطاب بثه التلفزيون بعد ذلك بقليل عن الاستقالة من رئاسة الحزب وقال لأعضاء الحزب في اليوم نفسه إن قوش بالغ في الأمر، وبدأت الخطوات المناهضة للبشير تتسارع.

وقال أحد قادة المتمردين ومصدر لعب دورا كوسيط بين الجانبين إن الإمارات أجرت اتصالات بأحزاب المعارضة السودانية والجماعات المتمردة التي شنت حربا على البشير وذلك لبحث "الوضع السياسي في السودان بعد البشير"، وعندما نظم المحتجون اعتصاما خارج وزارة الدفاع على مسافة غير بعيدة عن مقر البشير في السادس من أبريل نيسان لم يفعل جهاز الأمن والمخابرات بقيادة قوش شيئاً لمنعهم، وقالت هباني "عندها أدركنا أن الجيش سيستولي على السلطة"، وتواصل قوش مع كبار المسؤولين بمن فيهم وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش وقائد الشرطة. واتفقوا على أن الوقت حان لإنهاء حكم البشير. وقال مصدر على صلة وثيقة بقوش إن كل واحد منهم كان يدرك أن "البشير انتهى"، وأكد متحدث باسم المجلس العسكري الانتقالي الذي يحكم السودان الآن أن قوش لعب دورا رئيسيا.

وكان الفريق أول محمد حمدان دقلو حليف البشير القديم آخر من شاركوا في المؤامرة. ويشتهر دقلو باسم حميدتي الذي أطلقته عليه جدته، ويقود حميدتي قوات الدعم السريع مرهوبة الجانب وهي قوة شبه عسكرية مدججة بالسلاح ويعد أفرادها بعشرات الآلاف وتسيطر على الخرطوم، وحُسم مصير البشير وفي الساعات الأولى من صباح 11 أبريل نيسان تم عزله من السلطة، وبعد بضعة أيام سافر الحسين، رجل البشير في إدارة العلاقات مع الإمارات والسعودية، إلى السودان ضمن وفد من السعودية والإمارات والتقى بحكام السودان الجدد العسكريين.

وفي 21 أبريل نيسان أعلنت الإمارات والسعودية أنهما ستقدمان مساعدات للسودان قيمتها ثلاثة مليارات دولار. وقال حميدتي فيما بعد إن القوات السودانية ستبقى في اليمن، وفي الوقت نفسه تقريبا كانت جماعات من المعارضة والمتمردين تلتقي بمسؤولين من الإمارات في أبوظبي، وكان ممن حضروا تلك المحادثات أحمد تقد المسؤول الكبير بحركة العدالة والمساواة المتمردة في دارفور. وقال إن مسؤولي الإمارات كانوا يريدون سماع آرائهم في المصالحة والاستقرار. وأضاف

تقد “ركزنا على عملية السلام وعلى كيفية تسوية الصراع في مناطق الحرب”، وقال تقد والمصدر الذي تولى ترتيب الاتصال إن الشيخ منصور بن زايد آل نهيان مالك نادي مانشستر سيتي وأحد أفراد الأسرة الحاكمة في أبوظبي أشرف على الاتصالات بين الإمارات وجماعات المعارضة.

ولم ترد إجابات لرويترز على أسئلة أرسلتها إلى الشيخ منصور عن طريق وزارة الخارجية الإماراتية ومجلس الإعلام، وقوبلت محاولة من قطر لإيفاد وزير خارجيتها لإجراء محادثات في الخرطوم بالرفض، وفي الأسابيع التي أعقبت عزل البشير برز حليفه القديم حميدتي كأقوى شخصية في السودان باعتباره نائب المجلس العسكري الانتقالي الذي يدير الآن شؤون البلاد، كان حميدتي، تاجر الماشية السابق، قد اكتسب سمعة على المستوى الدولي باعتباره أشد قيادات الميليشيات قسوة في حرب دارفور التي بدأت في العام 2003، واتهمت منظمات حقوق الانسان ميليشياته بارتكاب فظائع بما في ذلك إحراق قرى واغتصاب النساء وقتل المدنيين. ونفى حميدتي هذه الاتهامات كما نفتها حكومة البشير، واستقال قوش من منصبه في المجلس العسكري الانتقالي في 13 أبريل نيسان. وكان رئيس جهاز الأمن والمخابرات قد تعرض لانتقادات حادة من المحتجين كما تعرض لضغوط هائلة للتنحي عن منصبه. ويكتنف الغموض مكان وجود قوش غير أن قوات أمن تنتشر حول بيته في الخرطوم، وفي الثالث من يونيو حزيران سحق جنود حميدتي اعتصام المحتجين خارج وزارة الدفاع وفتحوا النار على المعتصمين. ويقول عاملون في القطاع الطبي من المعارضة إن أكثر من 100 شخص سقطوا قتلى. وقدرت السلطات السودانية أن عدد القتلى بلغ 62 قتيلًا، ثم شرع الجنود في إزالة اللافتات والرايات التي كتبت عليها شعارات تقول إن المحتجين لا يريدون أن يصبح السودان مثل مصر وتطالب السعودية والإمارات بالكف عن التدخل في السودان.